كتاب المغني

ج 1

[قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ج 18/ص 193

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان أحد المجتهدين : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم وكتاب المغني للشيخ موفق الدين.

قلت : لقد صدق الشيخ عز الدين ، وثالثهما السنن الكبير للبيهقي ورابعها التمهيد لابن عبد البر فمن حصل هذه الدواوين وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقا.

ترجمة ابن قدامة من سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي 22/165-172 :

الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب المغني مولده بجماعيل من

عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مئة في شعبان وهاجر مع أهل بيته وأقاربه وله عشر سنين وحفظ القرآن ولزم الاشتغال من صغره وكتب الخط المليح وكان من بحور العلم وأذكياء العالم ورحل هو وابن خاله الحافظ عبد الغني في أول سنة إحدى وستين في طلب العلم إلى بغداد فأدركا نحو أربعين يوما من جنازة الشيخ عبد القادر فنزلا عنده بالمدرسة واشتغلا عليه تلك الأيام وسمعا منه ومن هبة الله بن الحسن الدقاق وأبي الفتح بن البطي وأبي زرعة بن طاهر وأحمد بن المقرب وعلي ابن تاج القراء ومعمر بن الفاخر وأحمد بن محمد الرحبي وحيدرة بن عمر العلوي وعبد الواحد بن الحسين البارزي وخديجة النهروانية ونفيسة البزازة وشهدة الكاتبة والمبارك بن محمد البادرائي ومحمد بن محمد بن السكن وأبي شجاع محمد بن الحسين المادرائي وأبي حنفية محمد بن عبيد الله الخطيبي ويحيى بن ثابت وتلا بحرف نافع على أبي الحسن البطائحي وبحرف أبي عمرو على أستاذه أبي الفتح بن المني وسمع بدمشق من أبي المكارم بن هلال وعدة

وبالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي وبمكة من المبارك بن الطباخ وله مشيخة سمعناها.

حدث عنه البهاء عبد الرحمان والجمال أبو موسى ابن الحافظ وابن نقطة وابن خليل والضياء وأبو شامة وابن النجار وابن عبد الدائم والجمال ابن الصيرفي والعز إبراهيم بن عبد الله والفخر علي والتقي ابن الواسطي والشمس ابن الكمال والتاج عبد الخالق والعماد ابن بدران والعز إسماعيل ابن الفراء والعز أحمد ابن العماد وأبو الفهم ابن النميس ويوسف الغسولي وزينب بنت الواسطي وخلق آخرهم موتا التقي أحمد بن مؤمن يروي عنه بالحضور أحاديث.

وكان عالم أهل الشام في زمانه قال ابن النجار كان إمام الحنابلة بجامع دمشق وكان ثقة حجة نبيلا غزير الفضل نزها ورعا عابدا على قانون السلف عليه النور والوقار ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه.

وقال عمر بن الحاجب هو إمام الأئمة ومفتي الأمة خصه الله بالفضل الوافر والخاطر الماطر والعلم الكامل طنت

بذكره الأمصار وضنت بمثله الأعصار أخذ بمجامع الحقائق النقلية والعقلية - إلى أن قال - وله المؤلفات الغزيرة وما أظن الزمان يسمح بمثله متواضع حسن الاعتقاد ذو أناة وحلم ووقار مجلسه معمور بالفقهاء والمحدثين وكان كثير العبادة دائم التهجد لم نر مثله ولم ير مثل نفسه.

وعمل الشيخ الضياء سيرته في جزأين فقال كان تام القامة أبيض مشرق الوجه أدعج كأن النور يخرج من وجهه لحسنه واسع الجبين طويل اللحية قائم الأنف مقرون الحاجبين صغير الرأس لطيف اليدين والقدمين نحيف الجسم ممتعا بحواسه أقام هو والحافظ ببغداد أربع سنين فأتقنا الفقه والحديث والخلاف أقاما عند الشيخ عبد القادر خمسين ليلة ومات ثم أقاما عند ابن الجوزي ثم انتقلا إلى رباط النعال واشتغلا على ابن المني ثم سافر في سنة سبع وستين ومعه الشيخ العماد وأقاما سنة صنف المغني عشر مجلدات والكافي أربعة والمقنع مجلدا والعمدة مجيليدا والقنعة في الغريب مجيليد والروضة مجلد والرقة مجلد والتوابين مجلد ونسب قريش مجيليد ونسب الأنصار مجلد

ومختصر الهداية مجيليد والقدر جزء و مسألة العلو جزء والمتحابين جزء والاعتقاد جزء والبرهان جزء وذم التأويل جزء وفضائل الصحابة مجيليد وفضل العشر جزء و عاشوراء أجزاء و مشيخته جزآن و وصيته جزء و مختصر العلل للخلال مجلد وأشياء.

قال الحافظ الضياء رأيت أحمد بن حنبل في النوم فألقى علي مسألة فقلت هذه في الخرقي فقال ما قصر صاحبكم الموفق في شرح الخرقي .

قال الضياء كان رحمه الله إماما في التفسير وفي الحديث ومشكلاته إماما في الفقه بل أوحد زمانه فيه إماما في علم الخلاف أوحد في الفرائض إماما في أصول الفقه إماما في النحو والحساب والأنجم السيارة والمنازل.

وسمعت داود بن صالح المقرىء سمعت ابن المني يقول وعنده الإمام الموفق إذا خرج هذا الفتى من بغداد احتاجت إليه.

وسمعت البهاء عبد الرحمان يقول كان شيخنا ابن المني يقول للموفق إن خرجت من بغداد لا يخلف فيها مثلك.

وسمعت محمد بن محمود الأصبهاني يقول : ما رأى أحد مثل الشيخ الموفق.

وسمعت المفتي أبا عبيد الله عثمان بن عبد الرحمن الشافعي يقول عن الموفق : ما رأيت مثله كان مؤيدا في فتاويه.

وسمعت المفتي أبا بكر محمد بن معالي بن غنيمة يقول : ما أعرف أحدا في زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق.

وسمعت الحافظ أبا عبد الله اليونيني يقول : أما ما علمته من أحوال شيخنا وسيدنا موفق الدين فإنني إلى الآن ما أعتقد أن شخصا ممن رأيته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه فإنه كان كاملا في صورته ومعناه من حيث الحسن والإحسان والحلم والسؤدد والعلوم المختلفة والأخلاق الجميلة رأيت منه ما يعجز عنه كبار الأولياء فإن رسول الله قال : ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره. فقلت بهذا إن إلهام الذكر أفضل من الكرامات وأفضل الذكر ما يتعدى إلى العباد وهو تعليم العلم والسنة وأعظم

من ذلك وأحسن ما كان جبلة وطبعا كالحلم والكرم والعقل والحياء وكان الله قد جبله على خلق شريف وأفرغ عليه المكارم إفراغا وأسبغ عليه النعم ولطف به في كل حال.

قال الضياء : كان الموفق لا يناظر أحدا إلا وهو يتبسم.

قلت : بل أكثر من عاينا لا يناظر أحدا إلا وينسم.

وقيل إن الموفق ناظر ابن فضلان الشافعي الذي كان يضرب به المثل في المناظرة فقطعه.

وبقي الموفق يجلس زمانا بعد الجمعة للمناظرة ويجتمع إليه الفقهاء وكان يشغل إلى ارتفاع النهار ومن بعد الظهر إلى المغرب ولا يضجر ويسمعون عليه وكان يقرئ في النحو وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه - إلى أن قال الضياء - : وما علمت أنه أوجع قلب طالب وكانت له جارية تؤذيه بخلقها فما يقول لها شيئا وأولاده يتضاربون وهو لا يتكلم ، وسمعت البهاء يقول : ما رأيت أكثر احتمالا منه.

قال الضياء : كان حسن الأخلاق لا يكاد يراه أحد إلا متبسما يحكي الحكايات ويمزح.

وسمعت البهاء يقول : كان الشيخ في القراءة يمازحنا وينبسط وكلموه مرة في صبيان يشتغلون عليه فقال هم صبيان ولابد لهم من اللعب وأنتم كنتم مثلهم.

وكان لا ينافس أهل الدنيا ولا يكاد يشكو وربما كان أكثر حاجة من غيره وكان يؤثر.

وسمعت البهاء يصفه بالشجاعة وقال : كان يتقدم إلى العدو وجرح في كفه وكان يرامي العدو.

قال الضياء : وكان يصلي بخشوع ولا يكاد يصلي سنة الفجر والعشاءين إلا في بيته وكان يصلي بين العشاءين أربعا بالسجدة ويس والدخان وتبارك لا يكاد يخل بهن ويقوم السحر بسبع وربما رفع صوته وكان حسن الصوت.

وسمعت الحافظ اليونيني يقول : لما كنت أسمع شناعة الخلق على الحنابلة بالتشبيه عزمت على سؤال الشيخ الموفق وبقيت أشهرا أريد أن أساله فصعدت معه الجبل فلما كنا عند دار ابن محارب قلت : يا سيدي وما نطقت بأكثر من سيدي فقال لي : التشبيه مستحيل ، فقلت لم ،

قال : لأن شرط التشبيه أن نرى الشيء ثم نشبهه من الذي رأى الله ثم شبهه لنا.

وذكر الضياء حكايات في كراماته.

وقال أبو شامة كان إماما علما في العلم والعمل صنف كتبا كثيرة لكن كلامه في العقائد على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه فسبحان من لم يوضح له الأمر فيها على جلالته في العلم ومعرفته بمعاني الأخبار قلت وهو وأمثاله متعجب منكم مع علمكم وذكائكم كيف قلتم وكذا كل فرقة تتعجب من الأخرى ولا عجب في ذلك ونرجو لكل من بذل جهده في تطلب الحق أن يغفر له من هذه الأمة المرحومة.

قال الضياء : وجاءه من بنت عمته مريم المجد عيسى ومحمد ويحيى وصفية وفاطمة وله عقب من المجد ثم تسرى بجارية ثم بأخرى ثم تزوج عزية فماتت قبله وانتقل إلى رحمة الله يوم السبت يوم الفطر ودفن من الغد سنة عشرين وست مئة وكان الخلق لا يحصون توفي بمنزله بالبلد قال : وكنت فيمن غسله.]

ص 17

مقدمة

قال الإمام العالم الأوحد الصدر الكامل السيد الفاضل شيخ الإسلام سيد العلماء إمام أهل السنة بقية السلف مفتي الأمة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رضي الله عنه وأرضاه كما اختاره لنصر دينه وارتضاه

الحمد لله بارىء البريات وغافر الخطيئات وعالم الخفيات المطلع على الضمائر والنيات أحاط بكل شيء علما ووسع كل شيء رحمة وحلما وقهر كل مخلوق عزة وحكما يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما البقرة 255 لا تدركه الأبصار ولا تغيره الأعصار ولا تتوهمه الأفكار وكل شيء عنده بمقدار الرعد 8

أتقن ما صنع وأحكمه وأحصى كل شيء وعلمه وخلق الإنسان وعلمه ورفع قدر العلم وعظمه وحظره على من استرذله وحرمه وخص به من خلقه من كرمه

وحض عباده المؤمنين على النفير للتفقه في الدين فقال تعالى وهو أصدق القائلين فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون التوبة 122

ندبهم إلى إنذار بريته كما ندب إلى ذلك أهل رسالته ومنحهم ميراث أهل نبوته ورضيهم للقيام بحجته والنيابة عنه في الإخبار بشريعته واختصهم من بين عباده بخشيته فقال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء فاطر 28

ثم أمر سائر الناس بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل علامة زيغهم وضلالهم ذهاب علمائهم واتخاذ الرؤوس من جهالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا وصلى الله على

خاتم الأنبياء وسيد الأصفياء وإمام العلماء وأكرم من مشى تحت أديم السماء محمد نبي الرحمة الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والكاشف برسالته جلابيب الغمة وخير نبي بعث إلى خير أمة أرسله الله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

أما بعد

فإن الله برحمته وطوله وقوته وحوله ضمن بقاء طائفة من هذه الأمة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وجعل السبب في بقائهم بقاء علمائهم واقتدائهم بأئمتهم وفقهائهم

وجعل هذه الأمة مع علمائها كالأمم الخالية مع أنبيائها

وأظهر في كل طبقة من فقهائها أئمة يقتدى بها وينتهي إلى رأيها وجعل في سلف هذه الأمة أئمة من الأعلام مهد بهم قواعد الإسلام وأوضح بهم مشكلات الأحكام

اتفاقهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة تحيا القلوب بأخبارهم

وتحصل السعادة باقتفاء آثارهم ثم اختص منهم نفرا أعلى قدرهم ومناصبهم وأبقى ذكرهم ومذاهبهم فعلى أقوالهم مدار الأحكام وبمذاهبهم يفتي فقهاء الإسلام وكان إمامنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه من أوفاهم فضيلة وأقربهم إلى الله وسيلة وأتبعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمهم وأزهدهم في الدنيا وأطوعهم لربه فلذلك وقع اختيارنا على مذهبه

وقد أحببت أن أشرح مذهبه واختياره ليعلم ذلك من اقتفى آثاره وأبين في كثير من المسائل ما اختلف فيه مما أجمع عليه وأذكر لكل إمام ما ذهب إليه تبركا بهم وتعريفا لمذاهبهم وأشير إلى دليل بعض أقوالهم على سبيل الاختصار والاقتصار من ذلك على المختار وأعزو ما أمكنني عزوه من الأخبار إلى كتب الأئمة من علماء الآثار لتحصل الثقة بمدلولها والتمييز بين صحيحها ومعلولها فيعتمد على معروفها ويعرض عن مجهولها

ثم بنيت ذلك على شرح مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن عبد الله الخرقي رحمه الله لكونه كتابا مباركا نافعا ومختصرا موجزا جامعا ومؤلفه إمام كبير صالح ذو دين أخو ورع جمع العلم والعمل فنتبرك بكتابه ونجعل الشرح مرتبا على مسائله وأبوابه ونبدأ في كل مسألة بشرحها وتبيينها وما دلت عليه بمنطوقها ومفهومها ومضمونها ثم نتبع ذلك ما يشابهها مما ليس بمذكور في الكتاب فتحصل المسائل كتراجم الأبواب

وبالله أستعين فيما أقصده وأتوكل عليه فيما أعتمده وإياه أسأل أن يوفقنا ويجعل سعينا مقربا إليه ومزلفا لديه برحمته فنقول وبالله التوفيق

قال أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي رحمة الله عليه قال القاضي الإمام أبو يعلى رحمه الله :

كان الخرقي علامة بارعا في مذهب أبي عبد الله وكان ذا دين وأخا ورع وقال القاضي أبو الحسين كانت له المصنفات الكثيرة في المذهب ولم ينشر منها إلا المختصر

في الفقه لأنه خرج من مدينة السلام لما ظهر سب الصحابة بها وأودع كتبه في دار سليمان فاحترقت الدار والكتب فيها قرأ العلم على من قرأه على أبي بكر المروذي وحرب الكرماني وصالح وعبد الله ابني أحمد وروى عن أبيه أبي علي الحسين عبد الله وكان أبو علي فقيها صحب أصحاب أحمد وأكثر صحبته لأبي بكر المروذي وقرأ على أبي القاسم الخرقي جماعة من شيوخ المذهب منهم أبو عبدالله بن بطة وأبو الحسن التميمي وأبو الحسين بن سمعون وقال أبو عبد الله بن بطة توفي أبو القاسم الخرقي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ودفن بدمشق وزرت قبره وسمعت من يذكر أن سبب موته أنه أنكر منكرا بدمشق فضرب وكان موته بذلك

وقال رحمه الله : اختصرت هذا الكتاب

يعني قربته وقللت ألفاظه وأوجزته والاختصار تقليل الشيء فقد يكون اختصار الكتاب بتقليل مسائله وقد يكون بتقليل ألفاظه مع تأدية المعنى ومن ذلك قول النبي صلى

الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا.

ومن ذلك مختصرات الطرق.

وفي الحديث الجهاد مختصر طريق الجنة.

وقد نهى عن اختصار السجود ومعناه جمع آي السجدات فيقرؤها في وقت واحد

وقيل هو أن يحذف الآية التي فيها السجدة فلا يقرؤها

وفائدة الاختصار التقريب والتسهيل على من أراد تعلمه

وحفظه فإن الكلام يختصر ليحفظ ويطول ليفهم

وقد ذكر رحمه الله مقصوده بالاختصار **فقال ليقرب على متعلمه** أي يسهل عليه ويقل تعبه في تعلمه

وقوله على مذهب أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه

فهو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن

وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان يلتقي نسبه ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في نزار لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد مضر بن نزار وأحمد من ولد ربيعة بن نزار

قال عبد الله بن أحمد قال أبي ولدت سنة أربع وستين ومائة

وقال عبد الله ومات في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة

حملت به أمه بمرو وولدته ببغداد ونشأ بها وسافر في طلب العلم أسفارا كثيرة ثم رجع إلى بغداد وتوفي بها بعد أن ساد أهل عصره ونصر الله به دينه

قال أبو عبيد القاسم بن سلام ليس في شرق ولا غرب مثل أحمد بن حنبل ما رأيت رجلا أعلم بالسنة منه

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمة الله ورضوانه عليه أحمد بن حنبل إمام في ثمان خصال إمام في الحديث إمام في الفقه إمام في القرآن إمام في

اللغة إمام في الفقر إمام في الزهد إمام في الورع إمام في السنة

وقال عبد الرحمن بن مهدي فيه وهو صغير لقد كاد هذا الغلام أن يكون إماما في بطن أمه

وقال أبو عمر بن النحاس الرملي وذكر أحمد بن حنبل عن الدنيا ما كان أصبره وبالماضين ما كان أشبهه وبالصالحين رحمه الله ما كان ألحقه عرضت له الدنيا فأباها والبدع فنفاها واختصه الله سبحانه بنصر دينه والقيام بحفظ سنته ورضيه لإقامة حجته ونصر كلامه حين عجز عنه الناس

قيل لبشر بن الحارث حين ضرب أحمد يا أبا نصر لو أنك خرجت فقلت إني على قول أحمد بن حنبل فقال بشر أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء

وقال علي بن شعيب الطوسي كان أحمد بن حنبل عندنا المثل الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم إنه كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حتى إن المنشار ليوضع على مفرق رأس أحدهم ما يصده ذلك عن دينه ولولا أن أبا عبد

الله أحمد بن محمد بن حنبل قام بهذا الشأن لكان عارا وشنارا علينا إلى بيوم القيامة إن قوما سئلوا فلم يخرج منهم أحد

وفضائله وما قاله الأئمة في مدحه كثير وليس هاهنا موضع استقصائه وقد صنف فيه غير واحد من الأئمة كتبا مفردة وإنما غرضنا هنا الإشارة إلى نكتة من فضله وذكر نسبه ومولده ومبلغ عمره إذ لا يحسن من متمسك بمذهبه ومتفقه على طريقته أن يجهل هذا القدر من إمامه

ونسأل الله الكريم أن يجعل بيننا وبينه في دار كرامته والدرجات العلى من جنته وأن يجعل عملنا صالحا ويجعله لوجهه خالصا ويجعل سعينا مقربا إليه مبلغا إلى رضوانه إنه جواد كريم

ص 20